محاضرات مقياس الاستعمار وحركات التحرر موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس

تاريخ جامعة محمد بوضياف المسيلة/2022/2021

ا/د احمد مسعود سيدعلي

المحاضـــــــــــرة الأولى:

عوامل ظهور الحركة الاستعمارية الحديثة

دوافع الاستعمار: ونعني بالدوافع تلك الأفكار و الآراء التي برزت منذ نهاية القرن الماضي محاولة في مجملها تفسير ظاهرة المد الاستعماري، وللتحدث عن دوافع هذه الظاهرة يمكن أن نتطرق إلى مجموعة من النقاط المفسرة لهذه الظاهرة.

آراء تتعلق بالجانب الديني – التبشير الديني: تعود جذور هذا الدافع إلى القرون الوسطى فبعدما قضت أوروبا على خطر المسلمين في اسبانيا حاولت إعادة الضربة لهم لتؤمن بذلك من خطر إعادة الكرة، بالإضافة للأخبار التي كانت تصلهم مفادها وجود مناطق في القارة الإفريقية* لم تنتشر فيها أي دعوة سماوية فقام الإسبانيين بقيادة (هنري الملاح) برحلات استكشافية لنشر المسيحية،إذن الكشوفات الجغرافية واكبت هذه العملية في الكثير من الأحيان بل كانت في أغلب المرات تجتمع في شخص واحد فمثلا **ليفيكستون** رحالة اسباني

رسم لمهمته هدفين أساسيين في مقدمة كتابه قائلا أنه يرمي من خلال هذه الرحلات الاستكشافية ربط الاتصال مع الشعوب الإفريقية المتخلفة وايقاضها وفتح هذه الأقاليم أمام الاوروبيين لغرس كتاب الانجيل.

ومن هنا يبدو أن الحرب ضد الإسلام لم تنته بل انتقلت من أوروبا إلى إفريقيا واعتبر المبشرون بأن الإسلام هو العقبة الوحيدة أمام انتشار وتقدم التبشير بالنصرانية في إفريقيا. إن إنكار حق الشعوب في اختيار عقائدهم خطر لا يمكنمساواته لباقي الأخطار التي تمارسها القوى الأوروبية ضد الشعوب الإفريقية فالأوروبيين أدركوا مدى خطورة الدين الإسلامي على مخططاتهم التي يمارسونها على أساس طمس كل معالم الإنسانية فجهزوا لذلك بعثات تبشيرية بمختلف الوسائل المادية والإعلامية لتباشر نشاطها في سبيل نشر المسيحية ففي الفترة الاستعمارية للقارة الإفريقية اقتصر العلم والمعرفة على البعثات التبشيرية التي كانت تقدم كل العون الممكن والتشجيع والرعاية للأفارقة مقابل دخولهم في المسيحية، وكان هذا واضحا في حالة التوسع الفرنسي الذي كان يحمل لواء النشر الكاثوليكية في شتى أنحاء العالم.

ومن اللآراء التي استندت إليها الكنيسة الكاثوليكية، أنها هدفها ايقاظ الشعوب المتخلفة وإحيائها عن طريق عملية التبشير والتنصير.

وقد يكون السبب الديني بارزا بالنسبة للدوافع لكن لا يكفي، لأنه ليست كل حركة استعمارية منطلقة من الدافع الديني فقط. بل هناك مجموعات من التفاسير.

آراء تتعلق بالدافع الاقتصادي: الاستعمار كان لحد كبير نتيجة لحتمية اقتصادية، على حد قول إ **إكينسون** ، حيث رأى أن مستوى التطور في اوروبا كان في مرحلة الماركانتيلية التجارية التي لم تسجل فكرة الاستعمار والاستيطان؛ وإنما استعملت هذه السفن المحملة بالبضائع فقامت هذه الشركات بتسويقها والحصول على رؤوس الأموال وأودعت في البنوك واستعملت في المدارس والمستشفيات، فنجد المفكر **بوليو** نفس الفكرة المستعملة في الاستهلاك وتعطيه أرباحا مضاعفة.

وكما يمثل البحث عن أسواق جديدة خارج أوروبا أهم الدوافع، إذ أن التراكمات الهائلة لبضائع رؤوس الاموال ناتجة عن تجارة محيطية في أوروبا، كما أن انخفاض الاستهلاك في الدول المصنعة شكل عامل أساسي بالنسبة للبعض، ودفعت الدول الاوروبية إلى استثمار هذه الثروات من سلع ورؤوس اموال خارج في اطار نفوذها سياسي وعليه قامت بتطبيق بصفة فعالة استراتيجية سياسية توسعية هدفها الحصول على مناطق نفوذ جديدة. هذه الظاهرة فسرها **ليلين** حيث يقول" أن الحركة الاستعمارية الجديد بكونها انتقلت من مرحلة رأسمالية ذات توجيه ما قبل احتكاري إلى رأسمالية تناشد المنافسة الحرة"، فإذن هذه المرحلة التي تتميز بها الدول الأوروبية في مرحلة جديدة رأسمالية صناعية التي تعتمد على عائدات المال ، هذه المرحلة تفسر تسابق الدول الاوروبية لأن الدول الأوروبية كانت أمام خيارات أولها ضرورة وجود أسواق لبيع الفائض من انتاجها الذي تميز في 1870 بالجودة والوفرة

فيفوق الطلب الداخلي ، الموضوع الثاني الذي تسعى إليه هذه الدول كانت بحاجة إلى مواد أولية حيث كانت في أغلب الأحيان تتواجد خارج أوروبا.

ولفهم هذا الطرح أكثر نجد مثلا أن الصناعة الحديثة في أوروبا، لا يمكن أن تزيد أو حتى تحافظ على مستواها إذا لم تجد أسواق جديدة، وبما أن كل الدول الأوروبية العظمى في سنة *1880 -1879*م قد وضعت نظاما جمركيا تتزايد فيه نسبة الحماية ماعدا إنجلترا وحدها فإن أسواق القارة لم تفتح إلا بصعوبة لذلك أوجب البحث عن عملاء خارج أوروبا وأكد (جول فيري) أن "الاستهلاك الأوروبي قد تشبع" وأنه لا يمكن إلا للسياسة الاستعمارية أن تجد: "طبقات جديدة من المستهلكين" واعتبرها "صمام الأمن" فالثورة الصناعية أكدت حاجة الدول الأوروبية الماسة إلى مستعمرات، لأن التصنيع في الدول الكبرى وخاصة بريطانيا وألمانيا واجهته عدة صعوبات منها: إدراك الدول الأوروبية الصناعية حاجتها للمواد الخام، التي تدخل في الصناعة وتوجد في إفريقيا، زد على ذلك هجرة الفلاحين إلى المدن أين تتركز الصناعات الحديثة.

وبالتالي عانت المدن الصناعية من نقص في المواد الغذائية، هذا بالإضافة إلى استعمال الآلات الحديثة التي أدت إلى إنتاج كبير يفوق حاجة الدول المنتجة وصاحب هذه الأحداث تغيرات في المجتمع بظهور طبقات تسعى للمحافظة على حقوقها وتمثلت في التجار والرأسماليين لتصبح بذلك الأغراض التجارية والصناعية هي التي تتحكم في سياسات الدول الصناعية، كما سعت الرأسمالية الأوروبية للبحث عن مجالات أخرى لاستثمار رؤوس أموالها،

وكان المجال واسعا أمامها في القارة الإفريقية كما شكل الغذاء الزراعي نقطة ضعف بالنسبة للدول الأوروبية الصناعية ويعود هذا إلى نقص المجتمعات الريفية مما دفع بها إلى محاولة تأمين المواد الغذائية الزراعية اللازمة لها من البلاد الضعيفة التي تتوفر فيها هذه المواد، ولكن دون اللجوء للطرق الشرعية كالتجارة بل استخدمت في سبيل تحقيق مبتغاها مختلف وسائل القهر والسيطرة الاستعمارية، مستغلة في ذلك ضعف الطرف الآخر(الشعوب الإفريقية).

إضافة إلى ذلك أن في داخل أوروبا ارتفعت الرسوم الجمركية، فجاءت نتيجة لتدابير اتخذها الدول الأوروبية لتدعيم اقتصادها فوضعت حواجز جمركية على منتوجات وسلع الغير فأدى هذا الامر إلى اكتظاظ السلع في معظم الدول الأوروبية، ولكن ومهما يكن من أبعاد في تفسير المد الاستعماري فإن هذه الظاهرة إلى حد ما ولا تكفي وحدها لتفسير مسألة تقييم القارة.

آراء تتعلق بالدافع الإنساني: أعتقد بعض الاوروبيين أنه من واجبهم الاخذ بأيدي الافارقة والآسيويون واعتبار انظمتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بدائية فكان على الأوروبيين لازما تقديم المساعدات لرفع هذه الشعوب إلى مستوى المدنيات المتحضرة ومن ثم ذهب البعض إلى اعتبار الاستعمار نعمة على الشعوب المتخلفة بل قالوا أن الاوروبيين ضحوا براحتهم بغية نشر هذه النعم وعرفت هذه الفكرة في إطار ما يسمى "مسؤولية الرجل الأبيض".

ولكن التصريح الذي أدلى به عضو مجلس الشيوخ البريطاني (لورد أوليفر) كان معاكس لنية الرجل الأبيض حين قال: "ليس ثمة أمة استعمرت بلدا من أجل الإنسانية وحب الخير لأهله" ويظهر مما سبق ذكره التناقض بين ذرائع الاستعمار ونيته الحقيقية، فالدافع الإنساني الذي في جوهره إلغاء تاجرة الرقيق ما هو إلا ذريعة استخدمت لإخفاء المقاصد الفعلية للاستعمار، وإلا فكيف نفسر مشاركة أوروبا قبل ذلك في تجارة الرقيق ألم يكن هناك دافع إنساني آنذاك.

آراء تتعلق بالدوافع الأستراتيجية والعسكرية:: يتمثل في مدرسة ثالثة بلورت نظريات مفادها أن دوافع اهتمام الأوروبيين بأقاليم خارج أوروبا يستند إلى عوامل استراتيجية فإفريقيا مثلا لم تستعمر من أجل ثروتها المادية ولكن اصبحت تشكل في نظر الأوروبيين خطر على مصالحها في مناطق أخرى على العالم فالاصطدام الذي وقع بين انجلترا وفرنسا منذ أواخر القرن 18 في مستعمرات قارة أفريقيا والاصدامات في البحر المتوسط وتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية كل هذه الأزمات واخرى جعلت من أفريقيا مركزا استراتيجيا بالدرجة الأولى. ويعد هذا دافع كافي لتبرير المد الاستعماري بالنسبة لهذه النظريات.

إضافة رغبة الدول الاستعمارية الاستفادة من الأهمية العسكرية للمستعمرات، وذلك باستغلال الموقع الاستراتيجي الممتاز لبعض المستعمرات واتخاذه قاعدة بحرية أو عسكرية، والعمل على تجنيد سكان المنطقة لصالحها في الحرب، وهذا ما قامت به بريطانيا من أجل الحصول على مناطق أو مراكز للتزويد بالوقود للعمليات العسكرية لأسطولها البحري ليتمكن من السيطرة على جل الطرق البحرية، وهذا ما يؤكده (جول فيري) من خلال قوله: "إن

السياسة الاستعمارية ضرورية لكي يحصل الأسطول الحربي على مواقع للرسو والتزود بالوقود" وأضاف" هذا هو السبب الذي يدفعنا للحصول على تونس، والسبب الذي يدفعنا للحصول على سايجونوالكوشين في الصين، والسبب الذي يدفعنا للحصول على مدغشقر.

آراء تتعلق بالتفسيرات الإجتماعية: يعتبر الباحث **جوزيف شامبترن** من الباحثين الأوائل الذين اتخذوا من علم الاجتماع والانثروبولوجيا أدات ووسيلة لتفسير هذه الظاهرة الجديدة، فالانقلاب الصناعي في أوروبا مثلا صاحبه تحسنا في ظروف المعيشة واستعمال الآلات الحديثة في العمل فتزايد عدد السكان، وتفشت البطالة وأصبحت الدول الأوروبية تبحث عن مناطق أخرى لتصدير الفائض من السكان لتقلل بذلك من نسبة البطالة والمشاكل الاجتماعية الناتجة عن ذلك.

الدافع النفسي: يرجع مجموعة من الباحثين والدارسين الحركة الاستعمارية الأوروبية للعامل النفسي المتأصل في نفوسهم وهو حب الامتلاك والعظمة والتقليد والتنافس غير المشروع وحب القوة والسيطرة. أو وهي مجموعة الافكار التي تتخذ من غريزة الانسان في حبه في التملك والسيطرة سبب يفسر المد الاستعماري يقصد من ورائها فرض السيطرة فقط، وهو ما ذهب (جوزيف شومبير) لهذا الرأي في تفسيره لنظرية "النكوصية"، فيعبر أن الامبريالية ليست نتيجة للضغوطات الاقتصادية بل يعتبرها رغبة طبيعية عند الإنسان للسيطرة على أخيه الإنسان وهذا الدافع الفطري للعدوان محكوم بتعطش الإنسان في كل مكان إلى الاغتصاب ومن ثم فإن الإمبريالية نوع من الأنانية الوطنية الجماعية: "نزوع دولة ما، دون هدف إلى

التوسع عنوة بلا حدود"، وينسب شومبير الامبريالية الجديدة إلى طبائع موروثة عن الأجداد، أي تمثل رجعة إلى غرائز سياسية واجتماعية بدائية كانت تحرك الإنسان في زمن سابق وربما كان هناك ما يبرر هذه السياسة في عصور قبل الحديثة ولكن من المؤكد أنه لا يمكن تبريرها في العالم الحديث.

ومن خلال هذه التفسيرات نلاحظ أن القاسم المشترك بينها هو أنها أقرت بتفوق الجنس الأبيض على باقي الأجناس، وهو ما يسمى بمجموع الأفكار التي تسند إلى أراء داروين (كتابه 1860) واجتمعت هذه الأفكار في القول أن النظرية الداروينية صائبة لكونها طرحت مبدأ البقاء للأصلح في إطار نظرية الانتقاء الطبيعي وبالتالي تم تبرير سيطرة الأقوام والأعراق العليا المتحضرة على الأقوام الدنيا والغير متطورة، فعليه كان تقسيم استعمار القارة الافريقية والأسيوية حتمية طبيعية بل ضرورية وسنجد هنا الاعتماد و الانطلاق من عنصر القوة لغرض السيطرة والطغيان.

آراء تتعلق بالدوافع الدبلوماسية: فهذه الدوافع تستند إلى نظريات بلورت تعليلات سياسية في معظمها ولعل أكثر هذه التبريرات انتشارا وشيوعا وتداولا هي:

1 النظريات التي تتخذ من النفوذ الوطني مبرر قوي للمد الاستعماري ، ويعتبر **كارلتنهايس** من أبرز دعاة هذه النظرية إذ يرى أن العديد من الدول الأوروبية كانت تبحث عن المكانة خاصة من بين الأمم ولم تتحصل على ما تريد إلا بعد استحواذها على أقاليم خارج أوروبا

مثلا فرنسا تبحث عن تعويضات للخسائر التي لحقتها بأوروبا وهاهي بريطانيا بجهتها تسعى إلى توسيع ممتلكاتها قصد رفع العزلة التي فرضتها عليها أووبا أو العالم القديم (الو.م.أ ، كندا استراليا) وها هي روسيا من جهتها التي شهدت أو عرفت مقاومة كبيرة في البلقان توجه من جديد أنظارها على أقاليم في اسيا ناهيك عن ألمانيا ، ايطاليا ، هولندا .... تسعى هذه المجموعة أن تملك هي الأخرى أراضي وأقاليم لتلتحق بمقام الامم الأخرى، من هنا من يستخلص أن الامبريالية الجديدة هي ظاهرة وطنية وأن النفوذ الوطني هدف اساسي لدعايتها فجاء تقسيم قارة أفريقيا حسب **هايس** نتيجة لهذه المسألة دون غيرها من الدوافع الأخرى وهناك دافع آخر يتمثل ما اصطلح عليه بموازين القوى فإذا كان هايس يعتبر النفوذ الوطني محرك أساسي دفع بالنفوذ الأوروبي خارج العالم القديم ثمة نظريات أخرى تزعمها **هنسلي** والذي يرى أن رغبة الأوروبيين في السلم والاستقرار داخل أوروبا هو الذي دفعها إلى التوجه خارج اوروبا ومن هنا يعتبر هنسلي أن الانطلاقة الفعلية للإمبريالية الجديدة كانت 1878 أين اشتد الصراع بين روسيا وإيطاليا في البلقان، وبفضل التسوية الدبلوماسية التي تمت آنذاك خلال مؤتمر برلين الأول اشتد الصراع حول الدولة العثمانية ومؤتمر برلين 2 تقسيم القارة الأفريقية، ليضع حدا للصراع داخل أوروبا ووافقت الدول الأوروبية على نبذ ومنع أي صراع داخل العالم القديم، هذا الدافع جعلها تستولي على أقاليم خارج أوروبا أن لنقل مسار الصراع بين الدول الأوروبية خارج أوروبا جعل آسيا وأمريكا اللاتينية تدفعت الثمن للمحافظة

على التوازن الأوروبي الديبلوماسي بين الدول الاوروبية والذي عرف نوع من الاستقرار ابتداء من 1880.

دوافع خاصة بأوضاع الدول الأوروبية : تتعدد هذه الدوافع وانشغالات على مستوى الدول الأوروبية بعضها لها دوافع دفعتها إلى عملية المد الاستعماري، وهي خاصة بها دون غيرها، فمثلا فرنسا كانت الأوضاع الداخلية مضطربة دفعت الحكومة الفرنسية في 1830 إلى احتلال الجزائر، فحاولت بذلك تحويل أنضار الشعب الفرنسي نحو هذه المسألة.

*** – هنري الملاح: الأمير دوم هنريك ملاح برتغالي قام بعدة رحلات كشفية لسواحل إفريقيا، ينظر: رءوف سلامة موسى: موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، دار المستقبل، لبنان، *2002*م، ص*1176*.**

قائمة بأهم المصادر والمراجع:

– جلال (يحي): تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ، المكتب الجامعي الحديث، مصر، *1999* م،

– سلامة موسى: موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، دار المستقبل، لبنان، *2002*م،

– محمد فاضل(على الباري)، سعيد(إبراهيم كردية): المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، بيروت، دار الكتب العلمية، *2007*م،

[)]– محمد السيد(سليم): تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط*02*، دار الفجر الجديد للنشر والتوزيع، مصر *2004*م

–فيصل (محمد موسى): موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، بلا مكان، *1997*م

– شوقي (عطا الله الجمل)، عبد الرزاق(ابراهيم عبد الله): تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري للتوزيع والمطبوعات، مصر، *2000* م،

– يحي(بوعزبز): الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، د، م، ج، بلا مكان، د،ت،

– شوقي عطا الله(الجمل)وآخرون: الموسوعة الإفريقية، م *2*، اليوبيل الذهبي لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، مصر، *1997*،

– عبد الحميد(بطريق، عبد العزيز أنوار): التاريخ الأوروبي الحديث، دار الفكر العربي، مصر، *1995*،

– محمد بن ناصر (العبودي): أيام في النيجر، لبنان، *1994*م،.

–عبد الله عبد الرزاق(إبراهيم): المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الكويت *1989*م،

– فيج–حي–دي: تاريخ إفريقيا، تر: دار السيد يوسف نصر، دار المعارف، بلا مكان *1982*م،

- رعد مجيد (العاني): تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، بلا مكان، *2007*م،

– جفري (برون): تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي المرزوقي، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بلا مكان، *2006*م،

- عبد الله عبد الرازق (إبراهيم)، شوقي (الجمل): دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مصر، *1998*م،

- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، لبنان، ***2003***م،
- مصطفى (الخالدي)، عمر (فزوغ): التبشير والاستعمار في البلاد العربي، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، ***1953***م،
- **Mnguni–three hundred year a history of south africavol 3– Cape town. 1952.P.14.**